

راجع أنا

فنج الله كولن

- ١ -

آتِ أَنَا... من وراء حُجُبِ القِطِيعَةِ قَدِمْتُ... عَبْدًا أَبَقًا لَكَ رَجَعْتَ...
شَفِيعِي إِلَيْكَ... عِبُودِيَّتِي لَكَ...
أَشْهَدُ أَنَّكَ تَوَجَّهْتَنِي... وَبَنَاجِ العِبُودِيَّةِ رَفَعْتَنِي وَقَبَلْتَنِي... وَهَا أَنَذَا... بَابِكَ أَقْرَعُ... فَافْتَحْ لِي سَيِّدِي...!
مَسْتَعْلٌ وَجَدُّ أَنَا... غَارِقٌ صَدِّ أَنَا...
إِلَى لِقْيَاكَ أَجُنُّ... وَمَنْ جَفَاكَ أُنُتُّ...
خُذْ بِيَدِي... أَعْنِي... وَعَلَى غَيْرِكَ لَا تَكَلْنِي...
عَبْدًا لَكَ أَظَلُّ... وَسَيِّدًا سِرْمَدِي السِّيَادَةَ أَبَدًا تَظَلُّ...!

- ٢ -

أَحْمَلُ ذُلِّي وَمَسْكَنْتِي... أَنْعَثِرْ بِذَنْبِي... وَعَلَى ظَهْرِي أَثْقَالُ هَمِي...!
أَسْقَطُ مَرَّةً وَأَنْهَضُ أُخْرَى...
وَلَكِنِّي أَحْتُ الخَطِيءَ... وَأَتَابِعُ المَسِيرَ... أَقْطَعُ المَسَافَاتِ... وَأَتَجَاوِزُ العُقَبَاتِ...
وَلِإِنِّي لِبَابِكَ أَسِيرُ... فَتَعَبِي فِي رُوحِي رَاحَةٌ... وَمَرَارَةُ الطَّرِيقِ فِي فَمِي حَلَاوَةٌ...
وَسِحْرُ جَمَالِكَ... هَيِّمْ خَطَايَ... وَقَارِبْ بَيْنَ مَمْشَايَ...!
سَيِّدِي... قَارِعْ بَابَكَ لَا يُصَدِّدْ... وَطَالِبْ رَحْمَتَكَ لَا يُرُدُّ...
فَافْتَحْ سَيِّدِي... وَخُذْ بِيَدِي...!

- ٣ -

أَخَافُ...؟ لِمَاذَا...؟ وَكَيْفَ...؟
كَيْفَ يَخَافُ مَنْ أَمَّنْتَهُ... وَكَيْفَ يَهْلُغُ مَنْ طَمَأْنَنْتَهُ...؟
وَالنَّرَابِ... أَكَلِ الأَجْسَادِ... وَمُفَتِّتِ العِظَامِ...
رُوحِي لَا يَطَالُ... وَقَلْبِي لَا يِنَالُ...
لِأَنَّكَ -سَيِّدِي- أَنْتَ فِيهِمَا... لَكَ وَهَبْتُهُمَا... وَعِنْدَكَ إِسْتَوْدَعْتَهُمَا...
فَافْتَحْ سَيِّدِي... فَالْقَلْقُ أَمْضَتْنِي... وَالْبِعَادُ عَنكَ حَرَّقَتْنِي...
فَافْتَحْ سَيِّدِي... وَإِلَى كِنْفِكَ خُذْ بِيَدِي...!

- ٤ -

إِذَا الرُّؤُوسُ خَوَتْ... وَالأَرْوَاحُ ضَوَتْ... وَالْفَضَاءُ الوَسِيعَ صَنَّنَ بِالكَثِيرِ وَالْقَلِيلِ...!
وَإِذَا الأَذَانُ صَنَّكَ... وَتَأَدَّتْ... مِنْ ضَجِيجِ الصَّوْتِ... وَتَافَهُ القَوْلُ... وَخَلِيطَ كُلِّ نَاعِقٍ وَصَائِحٍ...!
وَصَفَاءِ الرُّوحِ... كَدْرًا مَغْبِرًا غَدَا... غَبَّرْتُهُ الأَثَامَ... وَكَدَّرْتُهُ الذُّنُوبَ...
وَهَا هِيَ الجُمُوعُ... مِنْ هَمِّ مَا تَجِدُ... أَكْفَتِ الضَّرَاعَةَ تَرَفَعُ... وَتَبْتَهَلُ وَتَنْتَضِعُ...!
فِيَارِبِ افْتَحِ الأبْوَابَ... وَأَنْزِلِ الرِّحْمَاتِ... وَخُذْ بِيَدِي...
أَنَا الأَتِي إِلَيْكَ مِنْ بَعِيدِ المَهَاجِرِ... وَقِصِي المَسَافَاتِ...!

- ٥ -

أذُنْ قلبي لصوتك تتسمّع... وتترقّب...
وسمع روعي لغير صوتك لا يسمّع...
هامسات أطفافك... وإلهامات نداءاتك... متى عليّ تنتزل..؟
وبألحان "الموراء"... كم أجزّ وأطرب... ومن نشوتي أتهيم..!
الظاهر كيف يُفتقد..؟ وساكن القلب كيف في القلب يضيع..؟
إن صككت بابك في وجهي فأنا الضائع المضيع...
وإن عنه طردتني وأبعدتني... فأنا فقيد الدنيا والآخرة..!
فأرجوك -يا سيدي- افتح لي... وخذ بيدي... ببابك واقف أنا..!

-٦-

إذا الشفق الوردى بأفاق صحرائي هام...
وعائق الأجواء ثم أقام...
عاشق دائم لا يريم...
وكان الصبح عن قريب لا يأتي... والشمس لا تشرق...
ونجم إقبالي في سمائي لا يلمع..!
ولكن يدي عن قرع بابه لا تكل ولا تمل...
وصوتي الواهن من وراء الباب ينادي:
سيدي... عبدك هنا... افتح لي... وخذ بيدي..!

-٧-

نورك من كل مكان منساب... من الأرض والسماء...
من التلّ والأخضر...
والقفر الأجرد...
والبحر الهدّار...
والنبع السلسال...
وجلال اسمك بالوجود محيط... به يقوم... وبه يدوم...
والقباب والمآذن... إذا رفع من فوقها اسمك... ارتجت... وارتجت...
فيك أقسم عليك... بالقلوب المحبة لك أتشفع إليك... بالأرواح المحترقة من عشقها أتضرع إليك...
وبجلال اسمك العظيم... وبسناة أسمائك الحسنی...
أن تفتح لي الباب... وتقبلني في العائدين... وتأخذ بيدي في السالكين... فأنا ببابك... أو مل وأنتظر..!

-٨-

بعيداً أنا منك... قريب أنت مئي... ما بعيد وما قريب... لمن هو بالمكان والزمان محيط..!
أنت أقرب إليّ من حبل الوريد... بل أقرب من قلبي الساكن بين جنبي...
وإن شئت جلت بيني وبينه... وأقصيته عني... وأقصيتني عنه..!
إشعاعات نورك في كياني تتراءى... وتنساب في حنايا الروح... وحبّات القلب...
إذا كنت معي... أو إذا كنت معك... فأنت مشرق أيامي... وأضواء ليلي ونهاري... وكلّ عاطفتي ووجداني..!
فيارب يا عالم السرّ وأخفى... افتح لي بابك... وبيدي خذ...
فأنا من زمان... على بابك أبيت... نصبتُ خيامي... وأقمتُ خبائي..!

-٩-

روحي ألم... وقلبي شجن...
مكبّل اليدين... معصوب العينين... مشلول الرجلين...
تعطّف عليّ... تحنّن على عبدك... اكسّر قيدي... أطلق يدي... وأزح عصابة عيني...
تكرّم عليّ... تلتطّف بي...
بالباب واقف... افتح لي... فقد هدّني الانتظار... وأنحلني طول السّهاد...!

المصدر: مجلة "سيزنّي" التركية، مارس ١٩٩٦؛ تعريب: أديب الدبّاغ.